# نقد المسرح الجزائري في الرسائل الجامعية

إسماعيل بن اصفية

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار عنابة

مقدمـــــة

**إذا كان النقد المسرحي في أبسط مفهوم له يعني ذلك النقد الذي ينصب على النص المسرحي فيحلل قيمه الفكرية والجمالية ووصولا الى جميع العناصر الفنية التي تسهم في انجاحه، فإنه من الصعب الجزم بوجود نقد مسرحي جزائري لأن ما أمكن العثور عليه لا يخرج عن كونه انطباعات وتعليقات بسيطة وسطحية غالبا ما تركز على تصحيح بعض الأخطاء اللغوية وبالتالي فهي لا تؤسس لنقد مسرحي.**

وتعود البدايات الأولى لتشكل تلك القيم النقدية التي تطبعها البساطة الى نهاية ثلاثينيات وبداية الأربعينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي شهدت البدايات الجنينية للكتابة المسرحية الجزائرية بفضل حركة الإصلاح التي –كما قال عبد الملك مرتاض–ربت العبقريات وأنشأت الصحف والمجلات، حيث عرفت الجزائر بداية من هذه المرحلة صدور بعض العناوين مثل "المنتقد" و"الشهاب" و"البصائر" للشيخ بن باديس و"الإصلاح" للطيب العقبي و"الجزائر" لمحمد سعيد الزاهري وهي ذات أسلوب راق ((وأول جريدة جزائرية نزعت نزعة أدبية مشبعة بالفكر الإصلاحي)) . [1]

وساهمت تلك الصحف في احتضان الحياة الثقافية والفكرية وعلى صفحاتها تشكلت أولى ملامح الحركة الأدبية والثقافية الجزائرية، ومعها بدأ النقد الادبي والمسرحي الجزائري في شكل انطباعات وتعليقات من خلال اسهامات عدد من أساتذة جمعية العلماء من امثال رمضان حمود ومحمد السعيد الزاهري وأحمد رضا حوحو وتوفيق المدني والأمين العمودي وغيرهم.

وساهم في اثراء الحركة النقدية لاسيما المسرحية منها هجرة عدد من المثقفين الجزائريين الى تونس أمثال عمر بن قدور وعمر.[2]

ظل النقد المسرحي الجزائري في شكل كتابة صحفية انطباعية تأثرية تفتقر إلى ((التصور النظري والإطار المنهجي وتقوم على النظر الوظيفي إلى النص ويكتفى بتصحيح الأخطاء اللغوية إضافة إلى بعض التعاليق السطحية التي تفتقر إلى الشواهد الكافية)) [3]

ولم يخرج النقد الصحفي في عمومه عما اعتاد عليه نقاد الصحف من ترويج للمسرحية والاشهار لها والتعريف بها ، وتقديم تلخيصا لأحداثها وإصدار جملة من الأحكام يغلب عليها طابع التعميم الشمولية والتحيز أحيانا في الأحكام وهي المواصفات التي كانت ولاتزال تطبع النقد الصحفي.

بواكير النقد المسرحي الأكاديمي

مع نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات دخل المسرح دائرة اهتمام بعض رواد النقد الأكاديمي في الجزائر ومؤسسيه أمثال عبد الله الركيبي وعبد الملك مرتاض ومحمد مصايف وأبو العيد دودو ثم جيل مخلوف بوكروح وصالح لمباركية ونورالدين عمرون وشايف عكاشة وغيرهم.

كان الركيبي رحمه الله في طليعة النقاد الأكاديميين الذين اهتموا بدراسة المسرح الجزائري في مرحلة جد مبكرة وذلك في كتابه ""تطور النثر الجزائري"" حيث خص الفصل الرابع منه لدراسة المسرح الجزائري. جاءت بعدها اسهامات عبد الملك مرتاض الذي

أفرد له فصلين في كتابه فنون النثر الجزائري، تناول في الأول نشأته واتجاهاته ومواضيعه ودار الفصل الثاني للبناء الفني ، وتوالت بعد ذلك العديد من الدراسات ذات الطابع الأكاديمي، حيث خصه محمد مصايف بوقفة في كتابه فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، عرض فيها لبعض قضايا المسرح الجزائري كإشكالية اللغة وحلل عددا من النصوص منها مسرحية "التراب" لأبي العيد دودو و"عند احمرار الفجر "لأسيا جبار.

وإذا كان النقد المسرحي الجامعي في الجزائر يعاني قصورا ويشتكي ضعفا فإن ذلك الضعف هو الوجه الآخر لضعف الحركة المسرحية، لأن النقد رديف الابداع ورفيق نموه وتطوره ، ومن الصعوبة أن يسير أحدهما بمعزل عن الآخر، فالنقد ملازم للمسرح له ولا مجال الى فصل أحدهما عن الآخر ((أول ملمح لنظرية النقد المسرحي/ الدرامي انه لصيق بتطور ونشأة المسرح نفسه .لذلك ليس هناك أدنى شك بأن الذى يرغب في معرفة نظرية النقد المسرحي لابد له من لاطلاع على تاريخ المسرح..... فنظرية النقد المسرحي التي ندرسها هي نظرية النقد المسرحي الغربي.)) [4]

فالمسرح الجزائري من أضعف الأجناس الأدبية مقارنة بالشعر أو الرواية أو أي جنس أدبي آخر، إضافة إلى تلك الفجوة التي كانت ولاتزال تفصل الأكاديمي عن المسرحي، لأن الأول يتعامل مع المادة الثابتة ممثلة في النص بعيدا عن المناخ المسرحي ومتطلباته، في حين يركز الثاني على الجانب التمثيلي والمتحرك في المسرح غير آبه بما تتطلبه العلمية والأكاديمية ((يشتكي المبدعون كثيرا من غياب الخطاب النقدي الدرامي على عمومه، وغياب الخطاب النقدي الد رامي الأكاديمي على وجه الخصوص. بل كانت هناك قطيعة بين الطرفين فالتزم المسرحي بركحه، وانزوى الأكاديمي في صرحه وكل طرف يشعر بضرورة التوجه نحو الثاني)) [5]

وبغية الحد من الظاهرة يقترح الأعرج واسيني خلق(( تكامل بين المسرح كمسرح وبين الجامعات ونقدها، حتى يستفيد النقد من الجهد الأكاديمي، ويتمكن هذا الجهد في الوقت نفسه من الاستفادة من الحياة المسرحية الحقيقية".)) [6]

والقصور ليس وقفا على النقد الأكاديمي المسرحي الجزائري، حيث يعاني النقد في العديد من الأقطار من هذا القصور، فكثيرة هي الأمم والشعوب التي يعاني نقدها من ضعف مع أنها تملك زادا مسرحيا ونقادا كبارا حيث كانوا ينشرون مقالاتهم في الصحف والمجلات [7]

والملاحظ أن نشأة النقد الأكاديمي في الجزائر كان من خلال جهود عدد من الباحثين الجامعيين (( ولولا بعض الجهود الفردية الجريئة، التي أخذت على عاتقها دراسة المسرح الجزائري وتتبع تطوره التاريخي والاهتمام باتجاهاته وبرجاله، لما أمكن وجود بحوث أكاديمية الآن تهتم بالتجربة المسرحية الجزائرية.)) [8]

المسرح الجزائري في الرسائل الجامعية

شهد المسرح الجزائري في منتصف ثمانينيات القرن الماضي توجها آخر تمثل في النقد الأكاديمي (الجامعي) وذلك حين تحول إلى مواضيع لرسائل جامعية نوقشت ببعض الجامعات المشرقية والجزائرية، ومع تلك الأبحاث والأطروحات تبدأ تتشكل قيما نقدية جديدة ومقاربات غير معهودة في مسيرة النقد الجزائري فماهي مواصفات هذا النقد؟ وماهي مميزاته ومن مثله؟ وإلى أي حد استطاع مواكبة الحركة المسرحية؟ وهل استطاع أن يجد له مكانة في فضاء الحركة النقدية الجزائرية ؟

حين نشرع في تصنيف تلك المقاربات الأكاديمية يلاحظ أن الريادة كانت للمقاربة التاريخية، وذلك من خلال رسالة نصر الدين صبيان التي تعد – فيما أعلم – أولى الرسائل الجامعية التي تناولت المسرح الجزائري تناولا أكاديميا ،حيث نظر إليه وفق أبرز الاتجاهات الكبرى التي عرفتها حركة التأليف المسرحي، في الفترة الممتدة من منتصف الأربعينيات إلى منتصف الثمانينيات والمتمثلة في الاتجاه الشعبي ثم التاريخي فالاتجاه الديني فالاجتماعي فالثوري ، حملت رسالته عنوان "اتجاهات المسرح العربي في الجزائر" قدمت الى جامعة دمشق وأشرفت عليها الدكتورة عزيزة مريدن ، وبعد ثلاث سنوات قدم الباحث العيد ميراث هو الآخر أطروحة الى جامعة القاهرة حملت عنوان "أدب المسرحية العربية في الجزائر" إشراف الأستاذ عبد المنعم تميلة ، وهي ثاني رسالة جامعية تناولت المسرح الجزائري تناولا أكاديميا وهي لا تختلف في منهجيتها العامة عن سابقتها وإن كانت دونها من حيث التناول، حيث تتبع نشأة

هذا الفن في أدبنا وعرض إلى أهم الأشكال والتجارب التي مارسها الجزائريون قبل معرفة هذا الفن ونظر إلى النصوص من حيث المضامين ولاحظ أن المسرح الجزائري تقاسمه اتجاهين رئيسين هي الاتجاه التاريخي والاجتماعي .

ومع أنهما درسا المسرح الجزائري دراسة علمية جادة لا يسعنا إلا التنويه بها والاشادة بفضل أصحابها في ظل الظروف التي قدمت فيها الرسالتين وهي فترة الثمانينيات، حيث شكلت هاتين الرسالتين بداية التأسيس للنقد المسرحي الجامعي ((الذي قوامه العلمية والجدية والمتابعة والتوثيق والتأصيل والتخصيص في إطار المؤسسة الجامعية والالتزام بما هو علمي وموضوعي على صعيد الكتابة والمصطلح في التنظير)) [9]

وتجلت ملامح الأكاديمية من خلال اعتمادهما منهجا علميا واضحا تمثل في المنهج التاريخي وتتبع الظاهرة المسرحية في الجزائر من حيث النشأة والتطور وأهم الأسماء والظواهر والتوجهات الكبرى التي طبعت المسرح الجزائري (( وقد تمثل المنهج التاريخي الكثير من النقاد العرب أمثال علي عقلة عرسان في (الظواهر المسرحية عند العرب )ومحمد عزيزة ( الإسلام والمسرح)وعلي الراعي في ' المسرح في الوطن العربي (الذي استطاع فيه أن يمتلك صفة المؤرخ للحركة المسرحية في البلاد العربية منذ بدايتها إلى العصر الحديث ))[10]، إلا أن الاختلاف بين نصر الدين صبيان والعيد ميراث يكمن في التصور المنهجي وطبيعة التناول، حيث بدت رسالة صبيان أعمق وأثرى لأنه ألم بمختلف الاتجاهات الأساسية التي عرفها المسرح الجزائري طوال الفترة الزمنية المحددة من منتصف الأربعينيات إلى منتصف الثمانينيات ، وتبعا لذلك فإن أطروحته تميزت بكثافة المادة وعمق التحليل والدقة في التصنيف والمنهجية في التقسيم ، في حين قصر العيد ميراث توجهات الكتابة المسرحية على اتجاهين أساسين هما الاتجاه التاريخي والاجتماعي وأسقط بقية الاتجاهات التي سبق وأن أشار إليها زميله كالاتجاه الديني والثوري والتراثي، وهي أساسيات في حركة التأليف لها أعلامها ومواصفاتها الموضوعية وسيماتها الفنية، مع أن المدونات التي قدمها كعينات للاتجاه التاريخي والمتمثل في مسرحية ""الهجرة" لعبد الرحمان الجيلالي و"بلال بن رباح " لمحمد العيد هي أقرب إلى المسرحيات الدينية منها إلى المسرحيات التاريخية، وكان يفترض من اللاحق الإضافة أو التعمق فيما أشار إليه السابق، ولكن الذي يحسب للعيد أنه كان من أوائل النقاد الجامعيين الذين أشاروا إلى قضية النص والعرض في المسرح الجزائري ، حيث نبه إلى ضرورة الفصل بين الظاهرة المسرحية كنشاط تمثيلي يرتبط بالعرض والمسرح كفن أدبي يعتمد النص المكتوب [11]

واتفقا على أن ميلاد الحركة المسرحية في الجزائر كان تحت التأثير العربي لا الفرنسي، حيث أرخا لنشأة الحركة المسرحية بزيارة فرقة جورج أبيض إلى الجزائر بدعوة من الأمير خالد وهو الرأي الذي سبق لكل من مرتاض ومصايف والركيبي طرحه في كتاباتهم وترسخ بعد ذلك في عدد من الكتابات النقدية التي تناولت المسرح الجزائري [12].

وأخرجا من دائرة البحث تلك المسرحيات التي كتبت باللغة الأجنبية، فلا أثر لما يعرف بالمسرح الجزائري الناطق بالفرنسية، وهذا ملمح علمي آخر فقد نص كل باحث ومن خلال العنوان أنه سيدرس المسرح الجزائري ذي اللسان العربي، فكان عنوان الرسالة الأولى ""اتجاهات المسرح العربي قي الجزائر"" وعنوان الثانية "" أدب المسرحية العربية في الجزائر". ومما انفرد به العيد ميراث أنه ركز على النص المسرحي المطبوع في كتاب وأخرج من دائرة البحث العروض المسرحية وتلك إحدى الصور المشرقة في البحث الذي حمل عنوان أدب المسرحية العربية في الجزائر. في حين جمع صبيان في رسالته بين النصوص الأدبية والعروض التمثيلية حتى تلك التي كتبت باللهجة العامية.

وتجلت الملامح العلمية في تحديد الفترة الزمنية، حيث تناول نصر الدين صبيان بالدراسة والتحليل معظم النشاط المسرحي الذي عرفته الحركة المسرحية على مدار أربعين سنة من منتصف الأربعينيات التي شهدت فيها الجزائر جملة من الأحداث الجسيمة (حوادث 8ماي 1945، تشكل الأحزاب السياسة، نضج الحركة الوطنية، المطالبة بالاستقلال...) إلى منتصف الثمانينيات مرحلة الدراسة.

بينما حدد كل من العيد ميراث والعمري بوطابع بداية البحث بفترة ثلاثينيات القرن الماضي ، وهي المرحلة التي شهدت فيها الجزائر حدثا ثقافيا وفكريا كبيرا تمثل في إعلان عن نشأة جمعية "العلماء المسلمين الجزائريين" التي ساهم أبناؤها والنضوون تحت عباءتها في الدفاع عن ثوابت الأمة وتنشيط الحركة الأدبية والمسرحية من خلال تلك النصوص التي قدمها محمد العيد ومحمد الصالح الصديق

وعبد الرحمان الجيلالي ومحمد الطاهر فضلاء وأحمد رضا حوحو ، بل إن العمري بوطابع جعل من عام 1938 بداية الفترة وهي المرحلة التي شهدت ميلاد أول مسرحية شعرية جزائرية تمثلت في تجربة (بلال بن رباح )لمحمد العيد.

وبعد سنة تقريبا على رسالة العيد ميراث ناقش الباحث أحمد منور أول أطروحة في معهد اللغة العربية بجامعة الجزائر حول المسرح الجزائري تناول فيها بالدراسة والتقويم تجربة أحمد رضا حوحو المسرحية [13] ، أشرف عليها المرحوم الدكتور عبد الله الركيبي ، ناقش بعدها بأشهر صاحب هذه المداخلة رسالة كانت ثاني أطروحة عرفتها الجامعة الجزائرية حول أحد أعلام المسرح.

ظلت هذه الرسائل لفترة من أهم الأعمال التي تشار إليها إلى غاية العشرين سنة الأخيرة حيث توالت الرسائل الجامعية واختلفت المقاربات الأكاديمية (( واستطاعت أن تنقل البحث إلى أفاق رحبة بما توفر لها من إمكانات علمية ومعرفية و ومنهجية لدى القائمين عليها فاستنبطوا أدوات إجرائية)) [14]، وكانت فاتحة هذا التوجه رسالة العمري بوطابع ""المسرح الجزائري "" دراسة فنية ولهذه الرسالة ميزتان الأولى أنها أول أطروحة دكتوراه دولة تتناول المسرح الجزائري والثاني كونها مقاربة فنية، وهو نوع من الدراسة يقوم أساسا على ((استكشاف الخصائص الفنية وتبيان المقومات الجمالية التي تتسم بها الظاهرة المسرحية، ويعني هذا أن الناقد الفني يركز كثيرا على المعطيات الشكلية من جهة ، والمقومات اللغوية والأسلوبية والايقاعية والتركيبية والبنائية من جهة أحرى وذلك على حساب المضامين والقضايا )) [15]

في حين كانت معظم المقاربات سواء السابقة أو اللاحقة إما تاريخية أو موضوعية، ويمكن تصنيف رسالة منور السابقة ضمن المقاربات الفنية أيضا إلى جانب كونها مقاربة تاريخية حيث عرض فيها لمجموعة من الخصائص الفنية والجمالية التي يتسم بها مسرح احمد رضا حوحو على مستوى التصور النظري والممارسة التطبيقية.

وربما كانت رسالة لخضر منصوري : التجربة الاخراجية في مسرح عبد القادر علولة التي قدمها الى جامعة وهران بداية لتوجه جديد في النقد المسرحي الأكاديمي الجزائري ، حيث سعى إلى الخروج عن التقاليد التي طبعت العديد من الرسائل الجامعية والتي تنظر إلى المسرح على أنه نص أدبي، تجاوز ذلك وعرض إلى بعض القضايا التقنية ، حيث اهتم بدراسة تجربة عبد القادر علوله في الإخراج المسرحي ، وذلك بدراسة مكوناتها الإخراجية، ورصد آليات التشخيص الدرامي، والتركيز على أساسيات ومكونات الاخراج من جمهور وتأثيث وموسيقى وإضاءة وصوت وعلاقة العرض بالجمهور وتبيان مدارس الإخراج المسرحي، ولاشك في أن دارس العروض التمثيلية ملزم بأن تكون له ثقافة مسرحية تتعلق بالعروض فيكون على علم ودراية بالكثير من الأمر التقنية فيفهم (( ماذا يعني التمثيل ومدارسه المختلفة، وماذا يعني الضوء وتأثيره البصري علي الجمهور، وماذا تعني فلسفة الحوار وفلسفة الحركة في العرض السمعي أو البصري، وماذا يعني الإيقاع في العرض المسرحي ككل، والإيقاع في المشاهد المختلفة سواء كانت فردية أم جماعية)) [16]

وعلى خطاها جاءت رسالة العلجة هذلي جامعة مسيلة التي حاولت هي الأخرى الخروج عن الدراسات التقليدية ومالت كثيرا إلى الجوانب التقنية، فاهتمت بالجوانب الدراماتولوجية في النص المسرحي من شخصيات وفضاء درامي وأحداث وحوار وإرشادات إخراجية، ولكنها سرعان ما عدلت عن هذه المقاربة ، فهل كان فقر الباحثة إلى ثقافة تقنية تتعلق بالديكور والاضاءة عوامل جعلت تلك المقاربة لاتصل إلى نهايتها(( من هنا تبرز أهمية الحاجة إلى وجود ناقد فني متخصص مثقف الحواس ، يمتلك رؤياه وحساسيته الخاصة إزاء العرض المسرحي ، وأن يستجيب لمحتويات العرض ويتعرف على صفاته الفنية والجمالية ليكشف عن مواطن قوتها وضعفها صوب تقويمها نقدياً وفنياً )) [17]

وسيرا على هذا التوجه الجديد في الدراسات الأكاديمية للمسرح الجزائري جاءت رساله" عياد زويرة (التجريب في المسرح الجزائري) وفيها عرض فيها إلى ملامح التجريب التي عرفها المسرح العربي بداية من مطلع خمسينيات القرن الماضي ، وتوقف عند أبرز مقومات التجريب الفنية والجمالية في المسرح وعد التجريب في المسرح ثورة في المضامين والأساليب وفي المجالات التقنية من سينوغرا فيا وإضاءة وديكور...

وهنالك رسائل أخرى يمكن تبويبها ضمن خانة المقاربات الموضوعية لأنها اهتمت (( بدراسة المضامين المسرحية، وتكثيفها في شكل تيمات وموضوعات عامة ، أو تجميعها في شكل ظواهر وقضايا مضمونية)) [18] على حساب العناصر المسرحية الأخرى ، ومن هذه

الرسائل أطروحة حسن ثليلاني المسرح الجزائري والثورة التحريرية ، حيث ركز فيها على مضمون الثورة في تلك الأعمال وقام برصد معظم النصوص التي رأى فيها نزوعا نحو الثورة وأشار إلى أن الهاجس الثوري رافق معظم النصوص وإن بوعلام رايس أفضل من تجلت في نصوصه تيمة الثورة حيث تفاعل معها ومثل الجانب الإعلامي لها. [19]

ثم ظهرت كتابات أخرى هي ليست رسائل جامعية ولكنها لأساتذة جامعيين ساهمت في ترسيخ المقاربات التاريخية، حيث تتبعت الظاهرة المسرحية ورصدت مراحلها التاريخية ووثقتها، ومن هذه المصنفات ""المسرح الجزائري"" لصالح لمباركية في جزأين وهو أحد رجالات للمسرح وأكاديمي واستاذ جامعي شغل منصب مدير معهد الفنون الدرامية ببرج الكيفان ،وتولى إدارة مسرح باتنة وله العديد من النصوص المسرحية ، وقد سمحت له تلك الوظائف بالوصول إلى كل ماله علاقة بالمسرح الجزائري مما جعل كتابه هذا وكتاب ""المسار المسرحي الجزائري"" لنور الدين عمرون وهما من أهم المصنفات التي تمثلت المنهج التاريخي .

المقاربات المنهجية للمسرح الجزائري

يمكن تصنيف الدراسات الأكاديمية التي تناولت المسرح الجزائري ضمن مجموعة من المقاربات :

أولا : رسائل تناولت التوجهات العامة للمسرح الجزائري

أ- نصر الدين صبيان: اتجاهات المسرح العربي في الجزائر جامعة دمشق 1985

ب -العيد ميراث: أدب المسرحية العربية في الجزائر ماجيستر جامعة القاهرة 1988

ج -مباركية مسعودي الاتجاه التاريخي في المسرح الجزائري ماجيستر جامعة عنابة 2011

ثانيا :رسائل تناولت بعض أعلام المسرح الجزائري

أ- أحمد متور مسرح أحمد رضا حوحو رسالته ماجيستر جامعة الجزائر 1989

ب – صورية غجاتي الخطاب المسرحي عند أحمد بوشيشة بين الأيديولوجيا والفن جامعة قسنطينة 2003

ج – حراث سعاد، مسرح علولة مصادره وجمالياته ، رسالة ماجستير جامعة وهران 2008

د -زهية عيوني: مسرح عبد القادر علولة ماجيستر جامعة عنابة 2011

ه -حورية مسياد : مسرح عز الدين جلاوجي ماجيستر جامعة عنابة2012

ثالثا: دراسات تناولت التأثير الغربي في المسرح الجزائري

ا- أثر المسرح الملحمي البريختي على أعمال ولد كاكي ، رسالة ماجستير جامعة وهران 1996

ب -لخضر منصوري : التجربة الاخراجية في مسرح عبد القادر علولة ، رسالة ماجستير جامعة وهران 2002

ج -عياد زويرة : التجريب في المسرح الجزائري ماجيستر جامعة وهران 2004 ،

د-الشريف الادرع: بريخت والمسرح الجزائري ولد كاكي أنموذجا .. جامعة الجزائر 2008

رابعا: دراسات تناولت ظواهر موضوعية

أ – إدريس قرقوة : التراث في المسرح الجزائري ، دراسة في المضامين جامعة سيدي بلعباس 2004

ب – بوعلام مباركي: توظيف التراث الشعبي في المسرح الجزائري جامعة وهران 2005

ج- حسن تليلاني : المسرح الجزائري والثورة التحريرية رسالة ماجستار جامعة قسنطينة2006

العلجة هذلي ، توظيف التراث الشعبي في مسرحية القراب والصالحين لولد كاكي، رسالة

ماجستير جامعة المسيلة

د-عبد الحليم بوشراكي :التراث الشعبي والمسرح في الجزائر ، مسرحية الأجواد أنموذجا رسالة

ماجستير جامعة باتنة 2010

و -حسن تليلاني : التراث في المسرح الجزائري رسالة دكتوراة جامعة قسنطينة 2010

ز-حميدة سليوة حضور التراث العربي في مسرح كاتب ياسين ماجيستر جامعة عنابة2012

خامسا: دراسات تناولت ظواهر فنية

أ- بعلي حفناوي : المسرح االهاوي في الجزائر رسالة ماجيستر جامعة قسنطينة.1994

ب- العمري بوطابع: المسرح الجزائري، دراسات فنية أطروحة دكتورة جامعة الجزائر2001

ج – خديجة بوسلوك : الفضاء السينوغرافي في المسرح الجزائري، رسالة ماجستير جامعة وهران 2004

السمات العامة للنقد الأكاديمي للمسرح الجزائري

الملاحظ الأولى: تفاوت المقاربات : انطلاقا من هذه العينات يلاحظ أن المقاربات الأكاديمية للنشاط المسرحي ليست على مستوى واحد من حيث الحضور والنسبة، حيث اهتمت بدراسة النصوص الأدبية وأسقطت العروض التمثيلية، لأن المسرح في ثقافة هؤلاء الباحثين نصا أدبيا ولا وأخيرا، وكانت الريادة للمقاربات التاريخية ثم تراجعت لتفسح المجال للمقاربات الموضوعية، فعدد الرسائل الجامعية التي درست مضامين المسرح الجزائري في السنوات الأخيرة يفوق بكثير تلك التي تتبعت نشأته ورصدت مراحل تطوره، في حين أن المقاربات الفنية قلية جدا فلم نعثر إلا على عدد محدود جدا من الرسائل فلا أثر لدراسة الصراع أو الشخصية أو الحوار أو غيرها من العناصر الفنية .

الملاحظ الثانية نقاد عبر متخصصين :إن معظم هذه الدراسات لم تصدر عن مسرحيين بل دارسي أدب وخريجي معاهد الأدب العربي ، فهو نقد غير متخصص لأن الذين تناولوه بالبحث والدراسة ليسوا مسرحيين متخصصين ومحترفين، إنه نقد قادم من حقل الادب والقصة والشعر، وليس من المسرح نفسه الا ما ندر، ووفق هذا المفهوم فهو نقد لم يمتلك أدواته بعد ولم يكن راسخا ، وهكذا كان البعد عن التخصص والافتقار إلى الثقافة المسرحية أولى العقبات التي اعترضت هذا الرعيل الأول من النقاد الجامعيين وهم يسعون إلى تأسيس نقد مسرحي أكاديمي كانت ((المسافة التي تفصل بين هؤلاء الباحثين وهذه التجربة التي لم يتلقوا عنها شيئاً في تكوينهم السابق، وكان توجههم هذا بمثابة المغامرة والتوجه نحو المجهول، فتملكهم نوع من الإعجاب والدهشة والحيرة العلمية والخوف من أرض لا يعرفون تضاريسها. ولذا احتاج هذا الفريق من الباحثين إلى أكثر من الجرأة والشجاعة. ورحلة الألف ميل تبدأ بخطوة إلى عالم المسرح الجزائري الذي كان في أغلبه مسرحيات شفوية لم تدون، وكم كان العمل مضنيا. فتم الاتصال برجال المسرح كولد عبد الرحمن كاكي ومصطفى كاتب وغيرهم كثير، وجمعت تلك الأعمال والعروض والنصوص التي كان بعضها في حال مزرية)) [20]

وكان لجامعة وهران فضل الريادة والسبق حيث أن العديد من الأطروحات التي تناولت المسرح الجزائري أنجزت هنالك لاعتبارات يأتي في مقدمتها وجود طاقة من المؤطرين .

وامتدت ظاهرة عدم التخصص لتشمل عدد من الكتابات النقدية المميزة للمسرح الجزائري والتي تعد علامة فارقة في دراسته والتاريخ له مثل ""المسرح الجزائري النشأة والتطور "و "المسرح و "الجمهور"و" المسرح الجزائري والصحافة" والمسرح الجزائري

ثلاثون سنة من الأعباء"" جميعها قدمها إعلاميون ورجال صحافة أمثال أحمد بيوض ومخلوف بوكروح وبوعلام رمضاني ((إن النقاد المسرحيين في الجزائر كانوا في الأصل صحافيين تمرسوا على الكتابة الصحفية المسرحية باللغة العربية وباللغة الفرنسية، واستطاعوا أن يقدموا قراءات مميزة لتلك العروض المسرحية التي قدمت هنا و هناك، إن أقلاما، من أمثال أحمد شنيقي، و بوعلام رمضاني، و بوزيان بن عاشور،)) [21]

الملاحظة الثالثة المسرح نص أدبي وليس عرضا ثميليا

وهي محصلة للملاحظة السابقة وتتمثل في أن معظم هؤلاء النقاد وانطلاقا من المرجعية الثقافية اعتبروا المسرح نصا أدبيا وألحقوه بالأجناس الأدبية، وتبعا لذلك فإن دراسته تختلف كثيرا عن الرواية أو الشعر، وأسقطوا الشق الثاني من المسرح وهو كونه نصا تمثيليا ، ومن الثابت أن النقد المسرحي ظل لفترة ليست باليسيرة يسير جنباً إلى جنب النقد الأدبي حتى القرن العشرين، لا سيما بعد أن تحددت ملامحه وأصبح له منهجا يسير عليه (( ولم يكن النقد المسرحي ليفرق بين الأدب والمسرح وإنما كان ينظر إلى المسرح بوصفه شكلاً أو لوناً من الألوان الأدبية، فكان تبعاً لذلك يتبع المنهج نفسه الذي كان يتبع في دراسة الأدب ومقاربته. فالمسرح من هذا المنظور إذن نص لا فرق بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى. خاصة إن فن الإخراج المسرحي كان لا يزال يخطو خطواته الأولى ولم يسهم بعد في لفت انتباه النقاد والدارسين إلى العرض المسرحي وخصوصية التجربة المسرحية.)) [22]

ومن آثار عدم الإقرار بشرعية هذا التخصص وأنه جنس قائم بذاته أن معظم هؤلاء الذين قدموا أطروحات حول المسرح يصنفون في خانة الأدب الحديث أو المعاصر.

الملاحظة الرابعة : ظاهرة التكرار التي ميزت العديد من تلك الأطروحات فقد تناول كل من بوعلام مباركي وادريس قرقوة واحسن ثليلاني وعبد الحميد بوشراكي وزهية عيوني حضور التراث في المسرح الجزائري وهو ما جعل الدراسة تجنح نحو التكرار، لدرجة أن بعضها يكاد أن يكون نسخة من الآخر، من ذلك مثلا أن دراسة نصر الدين صبيان تتطابق في الكثير من جوانبها مع دراسة العيد ميراث ، فكل منهما قسم المسرحية التاريخية في الأدب الجزائري التقسيم التاريخي المعروف مسرحيات ما قبل الاستقلال ومسرحيات مابعده لدرجة أن الأمثلة متطابقة.

وحظي مسرح عبد القادر علولة باهتمام الكثير من الدارسين ، حيث قدم حوله وفي جامعة لوحدها وهران الكثير من الرسائل منها :خصائص الكتابة المسرحية عند علولة ، والخطاب المسرحي عند علولة ، ومسرح علولة مصادره وجمالياته ، والتراث في مسرح علولة ، وتوظيف التراث الشعبي في مسرح علولة .ودرس كل من الطيب مناد والشريف الأدرع تأثير برتولد بريخت على مسرح ولد عبد الرحمان كاكي .

وحين عرض هؤلاء الباحثون الى الاتجاه الديني في المسرح الجزائري استوقفتهم مسرحيات أدباء جمعية العلماء أمثال محمد العيد ال خليفة وعبد الرحمان الجيلالي ومحمد الصالح الصديق فالمدونات واحدة في العديد من تلك الدراسات ،وأرجع الدكتور محمد تحريشي ذلك إلى عوامل منهجية منها اعتماد الكثير من تلك الدراسات المنهج التاريخي، فضلا عن تشابه المدونات وتقارب المصادر والمراجع ((إن المتتبع للد راسات حول المسرح الجزائري يحتار لتشابهها إلى درجة التكرار ولعل مرد ذلك إلى اعتمادها المصادر والمراجع نفسها، ويحتار أيضا لغلبة المنهج التاريخي في أغلب هذه المعالجات حتى وإن اختلفت المواضيع والزوية والرؤية، ويرجع هذا إلى أن أغلب الباحثين ظلوا أسيري تلك المعارف والمقدمات والنتائج المتواصل إليها، إن متابعة استقرائية لتلك البحوث الخاصة بالمسرح الجزائري تؤكد هذا الزعم، وقلما نجد دراسة استطاعت أن تتجاوز ما أنجز قبلها من دراسات بل أكثر من ذلك قد نلحظ نوعا من التأثر غير المبرر بما سبق، أوقد يوهمنا الدارس بأنه أتى بما لم يستعطه الأوائل ثم إن فتشت فيما قدم وجدته قد كرر من حيث لا يحتسب.)) [23]

الملاحظة الخامسة تقليدية المقاربات

وعلى الرغم من كثرة الرسائل وتنوع المقاربات إلا ان النقد المسرحي الأكاديمي في الجزائر ظل أسيرا للمناهج التقليدية، حيث لم ينفتح على التوجهات التي عرفها النقد الأدبي في الجزائر لاسيما في السنوات الأخيرة حيث ظلت تلك الرسائل اسيرة للمقاربات

التاريخية والموضوعية وذلك على حساب المناهج النقدية المعاصرة، من سيمائية وبنيوية، وتداولية وهي المناهج الأكثر انفتاحا المناهج الغربية ، ([24]) ، فعلى الرغم من أن السيمائية حققت نجاحا كبيرا في ميدان العلوم الإنسانية وطبقت على مختلف الأجناس الأدبية ، فظهرت دراسات سيميائية حول الشعر الجزائري والرواية والقصة ودرست الشخصيات والفضاء وأدرج عدد من الدارسين في خانة النقاد السيميائيين وتشكلت رابطة بهذا الاسم إلا أننا لم نعثر على أي دراسة علمية اقتربت من المسرح الجزائري اقترابا تداوليا أو سيميائيا.

## الملاحظ السادسة : ضعف النقد المسرحي الأكاديمي في الجزائر

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها رواد النقد الأكاديمي في الجزائر أمثال الركيبي ومرتاض ومصايف ودودو وجيل المعاصرين الذين سعوا إلى تأسيس نقد مسرحي أكاديمي إلا أن هذا النوع من الدراسات الجامعية لا يزال يشكو ضعفا ويعاني من قصور، ساهم في ضعفه جملة من العوامل يأتي في طليعتها أننا نكاد البلد العربي الوحيد الذي لا يملك مجلة متخصصة تعنى بشأن المسرح وقضاياه ولا رابطة أو جمعية تلم شمل المسرحيين ، فنحن في حاجة إلى مجلات علمية متخصصة تعنى بالحركة المسرحية وتتبع النشاط المسرحي سواء أكان نصوصا أوعروضا مسرحية أوتغطية لمهرجانات أو منشورات أو ندوات.

ومن أسباب هذا القصور أيضا أننا لا نملك معاهد لدراسة الفنون الدرامية وتكوين الإطارات المسرحية كما هو الحال مع جيراننا المغاربة والتونسيين وأشقائنا من المصريين والسوريين وبعض دول الخليج ، وإذا كانت بداية الاهتمام الأكاديمي بالمسرح تمثل في افتتاح معهد برج الكيفان الذي كان (( الحدث المهم في وجود إرادة من جميع الأطراف للاهتمام بالمسرح درا سة وبحثا، وأصبح المسرح ليس ممارسة على الخشبة وإنما أصبح علما ومعرفة وممارسة. وكان الحدث الأبرز هو افتتاح قسم "النقد والأدب التمثيلي" بجامعة وهران بعد مطارحات عديدة استقر أن يفتح بهذا الاسم، وهو تركيب لغوي في حد ذاته مشكلة إذ إن القائمين على التعليم لم يجدوا مبررا لفتح قسم للمسرح بمعهد اللغة العربية وآدابها، فتحايلوا بهذا الاختيار وأصبح في المتداول والدارج نعت هذا القسم بقسم المسرح، وفي المعاملات الرسمية فهو قسم النقد والأدب التمثيلي ولم تعد مشكلة التسمية مطروحة. ولما عرفت الجامعة الهيكلة الأخيرة بنظام الكليات أنشأت كلية الآداب واللغات والفنون، وانضوى هذا التخصص تحت اسم قسم الفنون الدرامية حلّا لإشكال)) [25]

وسبق لصاحب هذه المداخلة ومنذ ما يقارب الخمس سنوات أن تحايل على الندوة الجهوية لجامعات الشرق الندوة الجهوية واقترح مشروع ما ستير بعنوان (الأدب التمثيلي) وتمت الموافقة وتخرجت مجموعة من الدفعات ، غير أن جملة من الإشكالات الإدارية والبيداغوجية دفعت به مكرها إلى طلب تجميده ثم توقيفه.

كما أننا نفتقر إلى سياسة في مجال المسرح حيث يغيب هذا الفن عن منظومتنا التربوية والثقافية، وكل ما نملكه لا يعدو أن يكون تصورا ظرفيا تمليه ثقافة المناسبات والمهرجانات الخاضعة للظرفية ولنزوات بعض القائمين عليها ولم نول أي أهمية للنقد المسرحي من حيث التكوين الأكاديمي، فمع أننا أصبحنا نملك مخرجين وممثلين ولكن ((ليس لدينا نقادا درسوا النقد بمعناه العلمي الأكاديمي النظري ولهذا افتقرنا إلى الناقد الذي يخرج العرض ثانية برؤاه التنويرية.)) [26]

وإذا كان من الثابت أن الدراسة الأكاديمية لاتخرج نقادا أكاديميين، لأن النقد في الأساس موهبة وحاسة ولكنها ستظل دوما في حاجة إلى تظل في حاجة ماسة إلى تنمية ثقافية لا تتوقف )) [27] ، وأضاف الأستاذ واسيني إلى هذا عاملا آخر تمثل في غياب التكامل بين المسرحي والأكاديمي حيث أن كل منهما يعمل دون التنسيق مع الآخر"((مشكلة خاصة تتمثل في أن أغلبه في معظم بلدان الوطن العربي أكاديمي لا ينشأ ضمن مناخ مسرحي بل في محيط جامعي، لأن كل اشتغاله يتم هناك، فيبقى نظريا يعطينا مجرد تصورات ونظريات وكتب، بينما يبقى الواقع المسرحي شيئا آخر، والحكمة تكمن في كيفية قيامنا بعملية تجسير تكامل بين المسرح كمسرح وبين الجامعات ونقدها، حتى يستفيد النقد من الجهد الأكاديمي، ويتمكن هذا الجهد في الوقت نفسه من الاستفادة من الحياة المسرحية الحقيقية..... إننا نعاني مشاكل مرتبطة بسياسة الدولة التي يجب أن تتغير وتأخذ بعين الاعتبار عملية إدخال المسرح لكل الأماكن كمعطى أساسي، بدء من التلفزيون مرورا بالإذاعة واللذين تخليا عن بثهما للمسرحيات العالمية والمحلية على حد سواء من خلال برنامج "المسرح هذا المساء" وهو العامل الذي حبّبني شخصيا في المسرح، فما الذي ستتكفله دولة إذا ما برمجت مسرحية من

الريبيرتوار العالمي والعربي والجزائري؟ بدل الكلام الفارغ الذي يبث سهرة كل خميس، إذن المشكل مشكل دولة يمكن معالجته بمجرد استصدار قرار بشأنه،)) [28].

تشكل النوع من النقد تشكل من رسائل جامعية اتخذت المسرح الجزائري مادة له، غايته تتبع مساراته ورصد ملامحه وإبراز جهود رجاله، وكان المنهج التاريخي عماد الكثير من تلك الرسائل رغم اختلاف زوايا الدراسة ومنطلقات الدارس، ومعظم هؤلاء الذين مثل البواكير الأولى للنقد المسرحي الأكاديمي في الجزائر لم يكونوا مسرحيين بل نقاد أدب وخريجي معاهد اللغة العربية وآدابها، وتبعا لهذه الخلفية النظرية وبحكم الثقافة والتكوين انصب جل اهتماماتهم حول المكونات الأدبية للنص المسرحي،

وعلى الرغم من أن نشأ داخل أسوار الجامعة وبعيدا عن المسرح إلا أنه ساهم من خلال تلك الأطروحات في إضافة نوع جديد إلى النقد الجزائري تمثل في النقد المسرحي الأكاديمي، حيث كان المسرح قبل الثمانينيات لا يعرف غير النقد الصحفي أو العام.

المراجع والاحالات:


1- عبد الملك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

1983 ص57

2-محمدالصالح الجابري ،الادب الجزائري المعاصر ، دار الجيل للنشر 2005ص8،

3- يوسف وغليسي النقد الأدبي الجزائري من الأنسونية إلى الألسنية ، دار البشائر

للنشر الجزائر 2002 ، ص9

4- علي خفيف مراجعات في نظرية النقد المسرحي sudone onl.ne.com

5 – محمد تحريشي ، الد را مي في الجزائر، مجلة الأثر ورقلة، ص155

(6- الأعرج واسيني ، الحكمة في تجسيرنا التكامل بين المسرح والنقد الأكاديمي www.essalamonline.com

7- غسان المالح ، هل يوجد ناقد مؤثر. WWW- Almostafa . com

8- محمد تحريشي، ، الد را مي في الجزائر، ص155

9-منتدى كلية الآداب حلب .ahlmontada.com

10- سميرة السباعي ،جماليات تلقي المسرح أفق التوقع والاحتمال ، شركة الطباعة

مكناس 2011، ص59

11- العيد ميراث ، أدب المسرحية العربية في الجزائر ، مخطوط رسالة ما جستير جامعة القاهرة 1988 ، ص ب

-12- أحمد بيوض في المسرح الجزائري النشأة والتطور ، وصالح لمباركية المسرح الجزائري ونور

الدين عمرون في المسار المسرحي الجزائري

13 – طبعت في دار هومة بعنوان مسرح الفرجة والنضال في الجزائر

14 – محمد تحريشي ، الد را مي في الجزائر، ص157

15- جميل حمداني مراحل النقد المسرحي المغربي ومقاربته www.droupe.com

16- أهمية النقد في تطوير الحركة المسرحية ، www.startimes.com

17-قاسنم مطرود، النقد المسرحي هو العصا التي يرفرف عليها علم المسرح ،مجلة الموروث ، العدد الرابع 2008

18 - جميل حمداني مراحل النقد المسرحي المغربي ومقاربته

19-إسماعبل بن اصفية ، النزوع الثوري في المسرح الجزائري ، ص 74ملتقى الأدب الجزائري ، جامعة قالمة 2012

20- محمد تحريشي ، الد را مي في الجزائر، ص 156

21- المرجع نفسه

22 -عبد الرحمان بن زيدان التجريب في النقد والدراما ص49

23- المرجع السابق ،ص153

24 -- إسماعبل بن اصفية ، سيمياء الفضاء الدرامي ، مجلة التواصل الأدبي ع2 ، جامعة عنابة ، 2008،ص 145

25- تحريشي ، الد را مي في الجزائر، ص161

26- قاسنم مطرود، النقد المسرحي هو العصا التي يرفرف عليها علم المسرح ،مجلة الموروث ،

27-وليد أبو بكر ،النقد المسرحي في الصحافة ، ص 65

28- الأعرج واسيني ، الحكمة في تجسيرنا التكامل بين المسرح والنقد الأكاديمي